﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩﴾ [يوسف: 9]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمّا قوِيَ الحسدُ وبلغَ ذُرْوتَه، أفضى إلى اقتراحِ القتلِ أوِ التّغريبِ

في مناسبةِ هذه الآيةِ لِما قبْلَها وجهان:

الأوّلُ: لَمّا كان عندَهم أنّ الشّاغلَ الأعظمَ لأبيهم عنهم إنّما هو حبُّ يوسُفَ عليه السلام، وحبُّ أخيه إنّما هو تابعٌ، كان كأنّهم تراجعوا فيما بينَهم فقالوا: قد تقرّرَ هذا، فما أنتم صانعون؟ فقالوا: ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا﴾[1].

الثّاني: لَمّا قويَ الحسدُ وبلغ النّهايةَ في قولهم: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ قالوا لا بدّ من تبعيدِ يوسفَ عن أبيه، وذلك لا يحصل إلّا بأحد طريقَين: القتلِ أوِ التّغريبِ إلى أرضٍ يحصلُ اليأسُ من اجتماعه مع أبيه، فقالوا: ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا﴾: أصلُ (طرح) يدلُّ على نَبْذِ الشيءِ وإلقائه، ومن ذلك الطَّرَحُ: المكانُ البعيدُ[3]، وطَرَحَه: رمى به بعيدًا، والطِّرْحُ: الشَّيءُ المطروحُ لا حاجةَ لأحدٍ فيه[4]، والطَّرْحُ: الإلقاءُ والإبعاد، ويكونُ الاطّراحُ غالبًا إلقاءَ الشّيء غيرَ مُعتدٍّ به[5]، ومعنَى: ﴿ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا﴾: غيِّبوه عن أبيه، وألْقوه في أرضٍ بعيدةٍ مجهولةٍ لا يتمكّنُ من رؤيته فيها[6].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/23.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/424.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طرح).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (طرح).
(5) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (طرح).
(6) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 394.

2) ﴿يَخْلُ﴾: أصلُ (خلو) يدلُّ على تعرّي الشّيءِ منَ الشّيءِ، والمكانُ الخَلاءُ: الذي لا شيءَ به[1]، وخَلا لك الشّيءُ وأَخْلَى: فَرَغَ، وخلا المكان: إذا فَرَغَ، ولم يكنْ فيه أحدٌ ولا شيءَ فيه، وهو خالٍ[2]، وخَلا: انفردَ في مكانٍ خالٍ إلّا مِنه، خَلى الشّيءَ: تركه فلم يعدّ مَحوزًا لديه[3]، و﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ أي يخلصُ لكم وجهُه فيُقبلُ بكلّيته عليكم، فلا يلتفتُ عنكم إلى غيركم، ولا ينازعُكم في محبّته أحدٌ[4].

3) ﴿وَجْهُ﴾: أصلُ (وجه) يدلُّ على مقابلةٍ لشيءٍ، والوجهُ مستقبلُ لكلّ شيءٍ، يُقال في وجهِ الرّجل وغيرِه، والوجهُ معروف، وربّما عبّر عن الذاتِ بالوجه[5]، والوجهُ: نفسُ الشّيء، وجمعُه: وجوه، وأوجهٌ، وأُجُوهٌ[6]، ووجهُ النّهار أوّلُه، ووجهُ الكلام: السّبيلُ الذي يقصدُه به، ووجوهُ القوم: ساداتُهم، وصرفُ الشّيء عن وجهه أي سَننِه[7]. ومعنَى ﴿وَجْهُ﴾ في الآية: أي كلُّ توجُّهِه إليكم، وكلُّ إقبالِه عليكم بالميْلِ والمحبّة[8]، فكأنّه أقبلَ عليهم بوجهه، أو يُرادُ بالوجهِ الذّاتُ[9]، وهو كنايةٌ عن خُلوصِ محبّتِه لهم دون مشاركٍ[10].

المَعْنى الإجْماليُّ:

قال إخوة يوسُف بعضُهم لبعضٍ: اقتلوا يوسُفَ أوِ اطرحوه في أرضٍ مجهولةٍ بعيدةٍ مِنَ العُمرانِ، لا يعلمُها يعقوبُ عليه السلام، يَخلصْ لكم

اختلالُ ميزانِ تقديرِهم، جعلَهم يَقترحون القتلَ، على نيّةِ التّوبةَ من بعدِه

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خلو).
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: (خلو).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (خلو).
(4) ابن عجيبة، البحر المديد: 2/576، والخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 6/1239.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وجه)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (وجه).
(6) الزّبيديّ، تاج العروس: (وجه).
(7) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (وجه).
(8) رشيد رضا، تفسير المنار: 12/216.
(9) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/97.
(10) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/224.

وجهُ أبيكم من شُغْلِه بيوسُفَ، فإنّه قدْ شغله عنّا، وصرفَ وجهَه عنَّا إليه، وتتوبون من بعدِ قتلكم يوسفَ، وتكونون بتوبتِكم من قتلِه من بعدِ هلاكه قومًا صالحين[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

الاستئنافُ البيانيُّ في جملةِ: ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾:

بيانُ غرَضِهم ممّا قالوه، ومقصدِهم جرّاءَ ما فعَلوه

فصَل البيانُ القرآنيُّ قولَه تعالى: ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾ عمّا قبله ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ لِما بينَهما من شبْهِ كمالِ اتّصالٍ؛ إذ جاءتْ جملةُ ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾ مُستأنَفةً استئنافًا بيانيًّا؛ لأنَّ الكلامَ المتقدِّمَ يُثيرُ سُؤالًا في نُفوسِ السَّامعين عن غرَضِ القائلين ممَّا قالوه، وما هُم فاعلون[2]، فجاءتْ هذه الآيةُ تبيّنُ قصدَهم وما سيفعلون.

وغرَضُ هذا الأسلوبِ جعْلُ الكلامِ السَّابقِ كالمقدِّمةِ؛ لِتتأثَّرَ نفوسُ السَّامعينَ، فإذا أُلْقِي إليها المطلوبُ كانتْ سريعةَ الامتثالِ إليه[3].

دَلالةُ الأمرِ في: ﴿ٱقْتُلُواْ﴾:

في الأمرِ التماسُ المُوافَقةِ منَ الجميعِ تصريحًا أو رِضًا

عبّر البيانُ الإلهيُّ بفعل الأمر ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾، وهو خطابُ أحدِهم، وغرَضُ الأمر بالقتلِ هو التماسُ الموافقةِ على هذا الفعل منَ الجميع دونَ استثناءٍ، ممّا يدلُّ هذا الأمرُ على الحقدِ الّذي استولى على قلوبهم؛ إذْ بدأوا بأشدِّ أنواعِ التّخلُّصِ منه، وهو إعدامُه وإخفاءُ أثرِه مِنَ الوجود، ولَمّا كان أمرًا لا يتخلّفون فيه - جالتْ به صدورُ بعضهم، ونطقتْ به ألسنةُ آخرين - عبّرَ عنه بصيغةِ الجماعةِ.

بَلاغةُ الالتفاتِ إلى صيغةِ الخطاب:

في الالتفاتِ فضحٌ لنفوسِهم المتكبّرةِ، وقُبحٌ لِما يُخطّطون له

التفتَ البيانُ الإلهيُّ منَ التّعبيرِ بصيغةِ المتكلّمِ بقوله: ﴿وَنَحْنُ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15/564، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 236.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/23.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/222.

عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، إلى التّعبيرِ بصيغةِ المُخاطَب، بقولِه: ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾، ولم يقلْ: (إنْ نقْتلْ يوسُفَ أو نطرحْهُ أرضًا يخلُ لنا وجْهُ أبينا ونكون من بعده قومًا صالحين)؛ ليصوّرَ لنا الحالةَ النّفسيةَ التي كانوا فيها؛ فلمّا كان الحديثُ عن توصيفِ نفوسهم المُتورّمةِ المتكبّرةِ وحالِهم وقوّتِهم وشعورِهم بالظّلم - حسبَ زعْمِهم - عبّروا بصيغة المتكلّم الواثقِ ممّا يقولُ ولا يخافُ منه، ولمّا انتقلَ الحديثُ عنِ الوسيلةِ التي يُفرغون من خلالها حقدَهم وحسدَهم الّذي تمكّن منهم، وكانتْ جريمةً عظيمةً في حقِّ أخيهم وأبيهم، يعلمون قُبحَها وآثارَها، ولذلك لم تستطعْ ألسنتُهم أنْ تنطقَ بهذه الجريمة، بصيغة المتكلّم فلجأتْ إلى صيغةِ المخاطَبِ تخفيفًا من ثِقلِها الّذي يَشعرون به، وهذا شهادةٌ عليهم بقُبحِ ما يُقْدمون عليه.

التّصريحُ بالاسمِ الظّاهرِ، في جملة ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾:

صرّح البيانُ الإلهيُّ وهو ينقلُ قولَهم ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾ بالاسم الظّاهرِ ﴿يُوسُفَ﴾ ولم يُضمرْه رغم ورودِ اسمِه الظّاهر في الكلام السّابقِ، بل إنّ الحديثَ كلَّه عنه، فلم يقلْ: (اقتلوه)؛ إشارةً إلى وصولِ الحقدِ غايتَه في قلوبهم، وإلى قصْدِ تقويّةِ الدّاعي في نفوسهم، فلَطالما سمعوا هذا الاسْمَ من أبيهم يردّدُه أمامَهم؛ فيُوقدُ نارَ صدورِهم، إذِ التّصريحُ باسمه مُقترنًا بفعلةٍ شنيعةٍ متمثّلةٍ في إزهاقِ روحِ غلامٍ بريءٍ هو أخٌ لهم فيه دَلالةٌ على أثر وجودِ المُسمَّى فيما هم فيه.

بيانُ داعي نفوسِهم، في قتلِ يوسفَ، وتقريرُ ذلك بالسّياقِ

دَلالةُ التّخيير في ﴿أَوِ﴾:

معنَى ﴿أَوِ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ التّخييرُ بين أحد الفعلَين؛ أي: افعلوا به أحدَ الأمرين؛ إمّا القتلُ أوِ الإلقاءُ في أرضٍ بعيدةٍ منكورةٍ وهو الظّاهرُ[1]، ويدلُّ هذا التّخييرُ على كون الأمرَين

التّخييرُ بين فعلَين، هما قريبٌ من قريبٍ، بين قتلٍ مُباشرٍ أو غيرِ مباشرٍ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/243.

متقارِبَيْن، إذِ النّتيجةُ واحدةٌ؛ فطرْحُه في أرضٍ نائيةٍ مقطوعةٍ مُفْضٍ في الغالبِ إلى الموت، فالنّتيجةُ هي قتلٌ مباشرٌ، أو غيرُ مباشرٍ، وهذا يدلُّ على مدى غَليانِ الحقدِ في قلوبهم، وأثرِ الشَّيطان في التّسلّطِ عليهم، ويجوزُ أنْ تكون ﴿أَوِ﴾ للتَّنويعِ، أي: قال بعضٌ: اقتلوا يوسف، وبعضٌ: اطرحوه[1].

إيثارُ لفظِ ﴿ٱطْرَحُوهُ﴾ دون غيرِه:

إلقاءُ يوسفَ، يُصوّرُ حسدَ إخوته وكُرهَهم له

آثرَ البيانُ القرآنيُّ مُفردةَ (الطَّرح) فقال: ﴿ٱطْرَحُوهُ﴾ دون غيرِها، فلم يقلْ مثلًا (أودعوه)، وذلك لمناسبةِ مُفردةِ الطّرحِ للسّياق؛ إذ معنَى الطّرحِ في اللُّغة يدلُّ على نَبْذِ الشيءِ وإلقائه[2]، والطَّرْحُ: الإلقاءُ والإبعادُ، ويكونُ الاطّراحُ غالبًا إلقاءَ الشّيءِ غيرَ مُعتدٍّ به[3]، في حينِ أنَّ لفظَ (أودعوه) يدلُّ على التّرك والتّخليةِ[4]، ولا يدلُّ على الإبعاد والنّبذ، فهو لا يُعبّرُ عن كُرهِ وحقدِ إخوة يوسف وكيدِهم له، ولهذا آثر التّعبيرَ بلفظِ ﴿ٱطْرَحُوهُ﴾ لكونه أنسبَ؛ إذ يُشيرُ إلى تمكّنِ الحسدِ والحقدِ والبغضاءِ من قلوبهم بما جعلَهم يَستخدِمون مُصطلحًا في الرّمي والإلقاءِ والإبعاد، و"يُعبّرُ به عنِ الاقتحام في المخاوف"[5].

تنكيرُ ﴿أَرْضًا﴾:

التّنكيرُ والإبهامُ في (أرضًا) دَلالةٌ عنِ البُعدِ عنِ العُمرانِ

أوصلَ البيانُ القرآنيُّ الفعلَ ﴿ٱطْرَحُوهُ﴾ في قولِه تعالى: ﴿ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ بدون حرفٍ، أي لم يقل: اطرحوه في أرضٍ، مع تنكير ﴿أَرْضًا﴾[6]، وأخلاها مِنَ الوصفِ؛ لإفادة الإبهامِ؛ أي: أرضًا مَنكورةً مجهولةً بعيدةً مِنَ العُمرانِ[7] لا يعلمُها يعقوبُ ﷺ، "بحيثُ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/243.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طرح).
(3) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (طرح).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ودع).
(5) صدّيق خان، فتحُ البيان: 6/294.
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/23.
(7) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/447، وقال أبو السّعود: "ولذلك نُصبتْ نصبَ الظّروفِ المُبهمة"، يُنظر: إرشاد العقل السّليم: 4/256.

يهلكُ يوسفُ فيها، وعَنى قائلُهم بذلك: إنْ تورّعتُم عن مباشرةِ قتلِه بأيديكم"[1].

إيثارُ لفظِ ﴿يَخْلُ﴾:

غـرَضُـهـم من فـعـلَـتِـهـم أنْ يَـنـفـردوا بحبِّ يـعـقـوبَ الّـذي مـلَـكـهُ يـوسـفُ حسبَ زعْمِهم

جاء فعلُ ﴿يَخْلُ﴾ مجزومًا؛ لكونِه جوابًا للأمر، أَيْ: إنْ فَعَلتُم ذلك يَخْلُ لَكُم وجهُ أَبيكُم، والتَّعبيرُ بالخُلُوِّ على سبيلِ المجازِ في عدمِ التَّوَجُّهِ لِمَن لا يَرغَبونَ تَوَجُّهَهُ له (أي ليوسف)؛ لأنّ حقيقةَ الخُلوّ الفَراغُ، فَكأَنَّ الوَجهَ خَلا مِن أشياءَ كانَتْ حالَّةً فِيهِ[2]، وهو يوسف وحبُّه وتعلّقُه به وتقديمُه، فأرادوا بإبعادِ يوسفَ أنْ يخلُوَ لهم، أي أنْ ينفردوا فيه؛ لأنّ خَلا في اللغة: انفردَ في مكانٍ خالٍ إلَّا مِنه[3]، وبذلك يكونون هم مَنْ يَحظى باهتمام أبيهم ومحبّتِه، وفي هذا التّعبيرِ إشارةٌ إلى أنّ يوسف قد ملأَ كلَّ المكانةِ والمحبّةِ عند أبيه، ولم يكنْ لهم مكانٌ عند أبيهم حسبَ زعْمِهم.

نُكتةُ الإيجازِ في: ﴿يَخْلُ﴾:

إيـجـازٌ يُعطي قيـمةً جماليّةً للقصّة، بالتّركيزِ عـلى المَـشـاهـدِ البارزةِ فيها

الفعلُ المضارعُ ﴿يَخْلُ﴾ في جواب الطّلب ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ﴾ مجزومٌ بحرفِ شرطٍ مقدّرٍ هو وفعلُ الشّرط؛ لأنّ خُلوَّ وجهِ أبيهم لا يتحقَّقُ بمجرّدِ النّطق بفعلِ الأمر، وإنَّما يتحقّقُ بتنفيذِ الأمر، فالتّقديرُ: اقتلوا يوسفَ أوِ اطرحوه أرضًا، فـ "إنْ فعلتم ذلك يخلُ لكم وجه أبيكم"[4]؛ فالمحذوفُ هنا هو أداةُ الشّرطِ وفعلُ الشّرط.

وفي هذا الحذفِ إيجازٌ يدلُّ بالألفاظِ القليلةِ على المعاني الكثيرةِ، وهو مِنْ أبرزِ الظّواهر البلاغيّةِ في سورة يوسفَ، كونُ موضوعِها هو ذكرَ أحداثِ قصّة يوسفَ وإخوتِه، ومن أسلوبِ القرآن الكريمِ في سردِ القَصصِ تَسليطُ الضّوء على المَشاهد البارزةِ،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/23.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/223.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (حلو).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/223.

وتركُ مابينهما من فجواتٍ؛ يَطوي فيها ما بين المَشاهدِ منَ الرّوابط البدهيّةِ، ويفسحُ المجالَ للخيالِ حتى يملأَها بما يُعطي قيمةً جماليّةً للقصّة، بينما تقلُّ هذه القيمةُ وتضعفُ كلّما شُغل الذّهنُ بعرضِ تلك الرّوابطِ البدهيَّة[1].

سِرُّ إسنادِ الخُلوِّ إلى الوجهِ بين الاستعارةِ والمجاز:

الـغـيـرةُ بين الإخـوةِ، قد تُؤدّي إلى الأذى والجَفوةِ

قولُه تعالى: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾، وفيه أسندَ البيانُ القرآنيُّ الخُلوَّ إلى الوجه؛ وللوجه هنا معنَيان:

الأوّل: فإنْ كانَ المرادُ به الذّاتَ، أي يخلُ لكم أبوكم[2]، فهو مجازٌ مرسلٌ؛ إذ عبّر عن الذّاتِ بالوجه، عبّر بالجُزء (الوجه) وأراد الكلَّ (الذّات)، ولابدّ من أنْ يكونَ للجُزء المعبَّرِ به خصّيصةٌ في بيانِ المعنَى المُرادِ؛ فخُصوصيّةُ الوجهِ هنا هو أنّه مرآةُ الإنسان الّتي تنعكسُ عليها حالتُه النّفسيّةُ، فيُعرفُ فيه الرّضا والغضبُ، والفرحُ والحزنُ، وعامّةِ المشاعرِ الإنسانيّةِ.

الثّاني: وإنْ كان المرادُ الوجهَ فهو استِعارَةٌ عن شَغْلِه به، وصرْفِ مودَّته إليه، لأنَّ مَن أقبَل عليك صرَفَ وجْهَه إليك[3]، وفي هذه الاستعارةِ تَصويرُ معنَى إقبالِه عليهم[4]، "وهذا المعنَى كنايةٌ تَلويحٍ عن خُلوصِ محبَّتِه لهم دونَ مُشاركٍ"[5]، والمعنى: إنْ تفعلوا ذلك يُقبلْ عليكم إقبالةً واحدةً لا يلتفتْ عنكم إلى غيركم، والمرادُ سلامةُ محبّتِه لهم ممّن يُشاركُهم فيها ويُنازعُهم إيّاها[6].

سِرُّ تقديمِ ﴿لَكُمْ﴾ على الفاعل ﴿وَجْهُ﴾:

قولُه تعالى: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾، وفيه قدَّمَ البيانُ القرآنيُّ

أنانيّةُ انفرادِهم بحبِّ أبيهم، حملَتْهُم على الكيدِ ليوسفَ وأذيّتِه

(1) البُقاعي، الواضح في علوم القرآن، ص: 195.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 6/243.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 6/243.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/256، وأبو حيان، البحر المحيط: 6/243.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/223.
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/23، والآلوسيّ: روح المعاني: 6/383.

الجارَّ والمجرورَ ﴿لَكُمْ﴾ على الفاعل ﴿وَجْهُ﴾ إيثارًا لهم بالخطاب، أي لكم دونَ غيركم؛ وذلك للمُبالَغةِ في حَمْلِهم على القَبولِ؛ فإنَّ اعتناءَ المرءِ بشأنِ نفْسِه، واهتمامَه بتحصيلِ مَنافِعِه أتَمُّ وأكمَلُ[1]، وفي هذا إشارةٌ إلى أنانيّتِهم التي هي أثرٌ من آثارِ الحسدِ الذي تمكّنَ في قلوبِهم.

معنَى اللّام في ﴿لَكُمْ﴾:

قولُه تعالى: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾، اللَّامُ في قوله: ﴿لَكُمْ﴾ لامُ العِلَّةِ، أَي يَخْلُ وَجهُ أَبيكُم لأجلِكم، بمعنَى أَنَّهُ يَخلُو مِمَّنْ عَداكُم فَيَنفَرِدُ لَكم، وهذا المعنَى كِنَايَةٌ تَلويحٌ عن خُلوصِ مَحَبَّتِهِ لَهم دونَ مُشارِكٍ[2].

في لامِ العِلّةِ كنايةٌ عن خُلوصِ محبّةِ أبيهم لهم

إضافةُ (أب) إلى ضميرِ المُخاطَبين ﴿أَبِيكُمْ﴾:

أضافَ البيانُ القرآنيُّ لفظَ الأب إلى ضميرِ المُخاطَبين ﴿أَبِيكُمْ﴾، وهم إخوةُ يوسف؛ لأمورٍ: **الأوّلُ**: أنَّهم يحمِلون في قلوبهم حبًّا واحترامًا تجاهَ أبيهم، فلا يذكرونَه باسمه، رغمَ ما استبدَّ بهم مِن حَسَدٍ شيطانيٍّ أرْدَاهُم، **والثّاني**: إغراءٌ ومُبالَغةٌ في حَمْلِ جميعِهم على القَبولِ بهذه الجريمةِ، وذلك بتذكيرِ بعضِهم البعضَ بما سينالونَهُ من صلاحِ حالٍ عند أبيهم، من قُرْبٍ واهتمامٍ وحبٍّ بعد إبعاد يوسفَ عليه السلام، وبتبريرِ فعْلِهم المُنكرِ بأنّ يعقوبَ أبوهم ويَستحقّون أن يَنفردوا به كما كان يوسُفُ حَسَبَ زعمِهم، **والثّالثُ**: فيه إشارةٌ منهم إلى أنّ يعقوبَ عليه السلام سيُسامحُهم بعد فعلَتِهم؛ كونُهم أبناءَ له، وهم يَعلمون حنانَ أبوّتِه.

إضافةُ الإخوةِ أنفسَهم إلى أبيهم، طَمَعٌ في مُسامحتِهم، وتبريرٌ لهم عن فِعْلتِهم

فائدةُ عطْفِ جملةِ ﴿وَتَكُونُواْ﴾:

عطَفَ البيانُ الإلهيُّ قولَه تعالى: ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾، أي مِن بعد يوسُفَ عليه السلام على ﴿يَخْلُ لَكُمْ﴾، ليكونَ من جملةِ الجوابِ للأمر

ترجيحُ أنْ يكونَ المُرادُ الصّلاحَ الدُّنيويَّ لا الدّينيَّ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/256.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/223.

﴿ٱقۡتُلُواْ﴾، والمعنَى: اقتلوا يوسفَ، أوِ اطْرحوه أرضًا، فإنْ فعلتم ذلك يخلُ لكم وجهُ أبيكم، وتكونوا قومًا صالحين.

أي المرادُ مِن هذا العطف كوْنٌ ناشئٌ عن فِعْلِ المَأمورِ بِهِ، هو صلاحُ دُنياهُم.

وبهذا يتعيَّنُ كما يرى ابنُ عاشور أنْ يكونَ المرادُ منَ الصَّلاحِ فيه، الصَّلاحَ الدُّنيويَّ، أَي صَلاحَ الأحوالِ في عَيشهم مع أَبيهِم، وليس المرادُ الصَّلاحَ الدّينِيّ[1].

سِرُّ التَّعبيرِ بفعْلِ الكوْنِ مضارعًا مجموعًا ﴿وَتَكُونُواْ﴾:

تحقّقُ وثباتُ صلاحِ إخوةِ يوسفَ الدّنيويِّ والدّينيِّ، وَهْمٌ جمّلَهُ حَسَدُهم لِيوسُفَ

عبّرَ البيانُ الإلهيُّ بفعلِ الكوْن ﴿وَتَكُونُواْ﴾ مضارعًا مجموعًا؛ للدّلالةِ على توهُّمِهم بتمكُّنِ وثباتِ صلاحِ حالِهم الدّينيّ والدّنيويّ بإبعاد يوسفَ، واستمرارِهم جميعِهم على هذا الصّلاح؛ وذلك لتعبيرِهم بالجملةِ الاسميّةِ الّتي تفيدُ الثّبوتَ، ولتعبيرِهم بفعل الكون بصيغةِ المضارع مجموعًا، قال البقاعيّ: "قالوا: ﴿وَتَكُونُواْ﴾، أي: كونًا هو في غايةِ التّمكّنِ"[2].

وكذلك التَّعبيرُ بخبر ﴿وَتَكُونُواْ﴾ بصيغة اسْم الفاعل ﴿صَٰلِحِينَ﴾ – الذي يدلُّ كذلك على الثُّبوت والدّوام – يؤكّدُ حرصَهم على وصْفِ الصّلاحِ بعد القيام بجريمتِهم، والمعنَى: وتكونوا من بعده قومًا "صالحين أي: عريقين في وصْفِ الصَّلاح مستقيمينَ على طريقةٍ تدعو إلى الحكمة بوقوعِ الأُلفةِ بينكم، واستجلابِ محبّةِ الوالدِ بالمبالغة في برّه، وبالتّوبةِ من ذنْبٍ واحدٍ يكون سببًا لزوالِ المُوجبِ لداءِ الحسدِ الملازمِ لذنوبٍ متّصلةٍ منَ البغضاء والمقاطعةِ والشّحناءِ، فعزموا على التّوبة قبلَ وقوعِ الذّنْب[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/224.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/24.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/24.

عَوْدُ الضّميرِ في ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾، وسِرُّ التَّعْبيرِ بالبَعديّةِ:

سَعْيُهم إلى الصّلاحِ مَنوطٌ بمُراداتِهم في الحياةِ، بحسَبِ مفهومِهم للصّلاحِ والحياةِ

الضّميرُ (الهاء) في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ إمّا أنْ يرجعَ إلى ﴿يُوسُفَ﴾، والمعنَى: وتكونوا مِن بعد يوسُفَ قومًا صالحين، أي من بعدِ كفايتِه بالقتلِ أوِ التّغريبِ.

أو أنْ يرجعَ الضّميرُ إلى مصدرِ ﴿ٱقۡتُلُواْ﴾ أوِ ﴿ٱطۡرَحُوهُ﴾، والمعنَى: ثمّ تكونوا من بعد قتلِكم يوسفَ، أو تغريبِه قَوْمًا صالِحِينَ تائبين إلى اللّه ممّا جنيْتُم عليه[1].

ومن ثَمَّ يكونُ التَّعبيرُ بالبَعديّة دونَ قوله: (ثم تكونوا صالحين)؛ للتَّأكيدِ على كوْنِ يوسفَ عائقًا لهم إذا عادَ الضّميرُ (الهاء) عليه، أو للتَّأكيدِ على ثِقَل هذا الفعلِ الذي سيفعلونَه، وأنّه غيرُ مقبولٍ بموازينِ الصّلاح إذا عاد الضّميرُ إلى مصدرِ اقتلوه أوِ اطرحوه، أي: من بعد قتلِكم أو طرحِكُم له.

دَلالةُ ﴿مِنۢ﴾ في سياقِ الآيةِ الحكيمِ:

بيانُ أنّ في (من) دلالةً على سُرعةِ صلاحِ حالِهم وتوكيدِه

قولُه تعالى: ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾، وفيه تحتملُ ﴿مِنۢ﴾ معْنيَين:

الأوّل: أنْ تكونَ لابتداءِ الغاية، والمعنَى: تكونوا ابتداءً من بعد هذا الفعلِ بيوسفَ قومًا صالِحين، أي أنّ صلاحَ حالِكم مع أبيكم أو توبتَكم من فعلِكم تبدأُ من قتلِكم يوسُفَ أو تغريبِه، وقد عبّروا بمن الابتدائيةِ؛ لأنهم "لَمّا كانوا عالِمين بأنّ الموتَ لا بدّ منه، فهو مانعٌ من استغراقِهم للزّمانِ الآتي، أدخَلوا الجارَّ فقالوا: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾"[2].

الثّاني: أنْ تكونَ للتّوكيد، أي توكيدِ صلاحِ حالِهم مع أبيهم أو صلاحِ دُنياهم بزوالِ ما يَشغلُهم أو صلاحِ دينِهم بالتّوبةِ بعد قتلهم يوسُفَ أو تغريبِه.

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/447.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/24.

تَقديمُ الجارِّ والمجرورِ ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ على الخبرِ ﴿قَوۡمًا﴾:

الإشارةُ بالتّقديمِ، إلى وهْمِهم بكونِ يوسفَ عائقًا أمامَ صلاحِهم

قدَّم البيانُ القرآنيُّ الجارَّ والمجرورَ ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ على خبرِ تكونوا ﴿قَوۡمًا﴾؛ ولم يقل: (وتكونوا قومًا صالحين من بعده)؛ إشارةً إلى إصرارِهم على الفعلِ وعزمِهم عليه، وإلى وهْمِهم بأنّ صلاحَهم الدُّنيويَّ متعلِّقٌ به، أو أنّ صلاحَهم الدّينيَّ بتوبتِهم سيكونُ من بعده.

فائدةُ ذكْرِ لفظِ ﴿قَوۡمًا﴾، ومعها الصّفةُ ﴿صَٰلِحِينَ﴾:

التّعبيرُ بـ (قومًا) إشارةٌ إلى توهُّمِهم في يوسفَ ما ليس بحقٍّ

أطنبَ البيانُ الإلهيُّ بذكرِ لفظةِ ﴿قَوۡمًا﴾ ولم يكتفِ بالصّفةِ ﴿صَٰلِحِينَ﴾؛ للإشارةِ إلى أنَّ صَلاحَ الحالِ صفةٌ متمكِّنةٌ فيهم؛ كأنَّه مِن مُقوِّماتِ قَوميَّتِهم[1]، أو الإشارةِ إلى نشاطِهم وقوّتِهم في إدارةِ شؤونِ دُنياهم بعد التّخلُّصِ ممّا يتسببُ بشَغْلِ بالِهم، ويأخذُ جُزءًا من تفكيرِهم، والمعنَى: أنْ يكونوا بعد هذا الفعل "من ذوي نشاطٍ وقوّةٍ على محاولةِ الأمورِ"[2]؛ لأنّ القومَ في أصله للرّجال، وسُمُّوا بذلك؛ لأنّهم قَوّامون على النِّساءِ بالأُمورِ التي ليس للنِّساءِ أنْ يَقُمْنَ بها[3].

نُكتةُ حذْفِ مُتعلَّقِ ﴿صَٰلِحِينَ﴾:

عَمّموا أنواعَ الصّلاحِ الّذي يُصيبُهم، بعد جريمتِهم، إقناعًا لأنفسِهم

قولُه تعالى: ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمًا صَٰلِحِينَ﴾، وفيه حذفَ البيانُ القرآنيُّ متعلَّقَ ﴿صَٰلِحِينَ﴾، فلم يقلْ: صالحين في أمور دينِكم وطاعةِ أبيكم، أو صالحين في أمورِ دنياكم بذهابِ ما كان يَشغلُكم عن ذلك، وهو الحسدُ ليوسفَ، وتكدّرُ خواطرِكم بتأثيرِه عليكم هو وأخوه، أي بسبب ذلك صرتُم مُشوَّشين لا تتفرّغون لإصلاحٍ مهمٍّ، فإذا زالتْ هذه الوحشةُ تفرّغتُم لإصلاحِ مَهمّاتِكم[4]، أو صالحين مع أبيكم بعذرٍ تمهّدونَه، أو صالحين في دينكم بتوبتِكم من هذا الذّنْبِ في المستقبلِ؛ ليعمّ ذلك كلَّه[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/224.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/24.
(3) الزّبيديّ، تاج العروس: (قوم).
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/424.
(5) صديق خان، فتح البيان: 6/294.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الطَّرْحُ والإبدَاعُ:

الطّرحُ: أصلُ (طرح) يدلُّ على نَبْذِ الشّيءِ وإلقائه، ومن ذلك الطَّرَحُ: المكانُ البعيدُ[1]، وطَرَحَه: رمى به بعيدًا، والطِّرْحُ: الشَّيءُ المطروحُ لا حاجةَ لأَحدٍ فيه[2]، والطَّرْحُ: الإلقاءُ والإبعادُ، ويكونُ الاطّراحُ غالبًا إلقاءَ الشّيء غيرَ مُعتدٍّ به[3].

الطرحُ نبذٌ وإبعادٌ وإلقاءٌ للشّيء غيرَ مُعتدٍّ به، والإيداعُ تركٌ وتخليةٌ

والإيداعُ: أصلُ (ودع) يدلُّ على التّركِ والتّخليةِ، وَدَعَهُ: تَرَكَهُ، ومنه الدَّعَةُ: الخَفْضُ[4].

إذن: يتميّزُ الطَّرحُ بالنّبذِ والإبعادِ وإلقاءِ الشّيء غيرَ مُعتدٍّ به، ويتميّزُ الإيداعُ بالتّركِ والتّخليةِ والخفضِ.

الخلوُّ والفَرَاغُ:

لا تكادُ تُسعفُنا المعاجمُ اللّغويّةُ بفروقٍ واضحةٍ بين لفظَي (الخلوِّ، والفراغِ)، إذ عرّفتْ كلًّا منهما بالآخر (الخُلوّ بالفراغ، والفارغ بالخالي)، إلا أنّنا إذا أمعنّا النَّظرَ في معناهما واستعمالِهما نجدُ بعضَ الفروقِ الدّقيقةِ بين اللّفظَين، ويتّضحُ ذلك من خلال الآتي:

الخُلوُّ فراغٌ مع تعرٍّ وتركٍ وانفرادٍ، والفَراغُ خُلوٌّ مع سَعَةٍ وقضدٍ

الخُلوُّ: أصلُ (خلو) يدلُّ على تعرّي الشّيءِ منَ الشّيءِ، والمكانُ الخَلَاءُ: الذي لا شيءَ به[5]، وخَلا لك الشّيءُ وأَخْلَى: فَرَغَ، وخلا المكان: إذا فَرَغَ، ولم يكنْ فيه أحدٌ ولا شيءَ فيه، وهو خالٍ[6]، وخَلا: انفردَ في مكانٍ خالٍ إلّا منه، وخَلى الشّيءَ: تركَه فلم يعدْ مَحوزًا لديه[7].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طرح).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (طرح).
(3) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (طرح).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ودع).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خلو).
(6) الزّبيديّ، تاج العروس: (خلو).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (حلو).

كما ارتبط (الخُلُوّ) بالزّمان والمكانِ، كقوله: "خلا الشّيءُ: مَضَى " (ذَهَبَ فخلا منه المكانُ والزّمانُ الذي كان يشغلُه) ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: 134] ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: 144][1].

والفَراغُ: أصلُ (فرغ) يدلّ على خُلُوٍّ وسَعَةِ ذَرْعٍ، من ذلك الفراغُ: خلافُ الشّغل[2]، والفَرْغُ: السَّعةُ والسَّيَلانُ، ورجُلٌ فِراغٌ: سَريعُ المشْيِ واسعُ الخِطاءِ، وفَرِغَ الماءُ: انْصَبَّ، والفارغُ: الخالي[3]، والفراغُ في اللُّغة على وجهين: الفراغُ من الشُّغْلِ، والآخرُ: القَصْدُ للشَّيءِ[4].

إذن: يتميّزُ (الخلو) بمعنَى تعرّي الشّيء منَ الشّيء، والتّركِ والانفرادِ، والدّلالةِ على فراغ الحيّزِ أو الظّرف ممّا كان يشغلُه مع بقائه مُتماسكًا؛ ولذلك كان استعمالُ قوله تعالى: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ أنسبَ لحرْصِهم على بقاء أبيهم متماسكًا بعد إبعادِ يوسفَ عنه.

في حينِ يتميّزُ (الفراغ) بأنّه خلافُ الشّغل، وأنّ فيه معنَى السّعةِ، والقَصْدِ والانصبابِ، وقد لا يبقى الشّيءُ قويًّا بعد ما صار فارغًا، ولذا أوثرَ استعمالُه في قوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ [القصص: 10] أي فارغًا منَ العقل حينَ بلغها أنَّه وقع في يد فرعونَ، أو حين رؤيتِها تلاطُمَ الأمواج به، إذْ دهمَها أمرٌ مثلُه لا يثبتُ معه العقلُ، لا سيَّما عقلُ امرأةٍ خافت على ولدها حتَّى طرحَتْه في اليمّ رجاءَ نجاتِه منَ الذَّبح[5].

القومُ والنّاسُ:

يوجدُ تقاربٌ دلاليٌّ بين لفظَي (القومِ، والنّاسِ) إلّا أنّ بينَهما فروقًا منها:

القومُ جماعةٌ منَ الرّجالِ؛ والنّساءُ تبعٌ لهم، والنّاسُ جنسُ الإنسِ يشملُ الرّجالَ والنّساءَ

(1) ابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (خلو).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فرغ).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (فرغ).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (فرغ).
(5) أبو حيان، البحر المحيط: 8/289.

القومُ: في أصله يدلُّ على جماعةِ ناسٍ، والقومُ: جمعُ امرئ، ولا يكونُ ذلك إلَّا للرّجال[1]، وربّما تدخلُه النّساءُ على سبيل التّبَع، وسُمُّوا بذلك؛ لأَنّهم قَوَّامُون على النِّساءِ بالأُمورِ التي ليس للنِّساءِ أَنْ يَقُمْنَ بها[2]. والنّاسُ: جنسُ الإنس خاصّةً، وقيل: النّاسُ جمعُ إنسان، منَ الأُنس: ضدِّ الوحشة، وقيل: أصلُ النّاسِ منَ النّسيان، وقيل اشتقاقُه منَ النَّوْس وهو الحركةُ[3]، والنّاس تشملُ الرّجالَ والنّساءَ على حدٍّ سواءَ. ولذلك كان استعمالُ القوم في قوله: ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمَا صَٰلِحِينَ﴾ أنسبَ للسّياق؛ لدلالتِه على قوميّتِهم واجتماعِهم.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قوم).
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: (قوم).
(3) الزّبيديّ، تاج العروس: (أنس).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 22 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-19-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 22 : المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-19-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»